ثروت

انقطعت اسباب الحياة بيننا وبين ثروت منذ شهرين ولم نتعوّد بعد الاطمئنان الى انهُ قد مات والرضا بما قضى الله من ان الايام ستتبعها الايام دون ان نلقاهُ او نسمع لهُ او نتحدث اليهِ

وليس مصدر ذلك انهُ كان عظيم مصر رجاحة حلم ونفاذ بصيرة وذكاء فؤاد وسعة حيلة وتفوقاً في السياسة . فقد اجتمعت لهُ كل هذه الخلال وخلال اخرى ولكنها تجتمع للناس من حين الى حين وفي مختلف البيئات والاوطان ، ثم يمضي هؤلاء الناس للقاء ربهم فيشعر مواطنوهم بما يحدثون من فراغ ، ثم لا يلبثون ان يتعودوا فراقهم ويطمئنوا اليهِ راضين او كارهين

وقد فقدت مصر منذ اول هذا القرن طائفة من ابنائها الممتازين وجمت لفقدهم وناء بها رزؤها فيهم . ولكن الناس تعوّدوا الاطمئنان الى انهم قد مضوا الى حيث لا يعودون ولكن قليلاً من هؤلاء تركوا في نفوس اصدقائهم آثاراً لا تمحى ولوعة لا تخمد وناراً لا تزيدها الايام الا اضطراماً ذلك لانهم كانوا يملأون قلوب اصدقائهم ويطبعونها بطوابعهم ويصورونها بصورهم الخاصة فهما تنقطع بينهم وبين اصدقائهم الاسباب فصورهم في القلوب ماثلة واشخاصهم ملءُ النفوس وملءُ العقول وملءُ الحياة كلها . من هؤلاءِ قاسم امين وعبد الخالق ثروت

قاسم امين وثروت باشا

وما نزال نسمع الذين عرفوا قاسماً واحبّوهُ واتصلوا بهِ يتحدثون عنهُ باصوات يملأها الحب الحيُّ القوي النشيط ، هذا الود الذي يحتفظ بهِ الاحياء للاحياء لا ذلك الود الوفي الشاحب الذي يصبغهُ النسيان بشيءٍ من الفتور فيجعلهُ اقرب الى الذكرى القوية منهُ الى صلات المودّة التي يعرفها الناس في حياتهم العاملة

نعم ما نزال نسمع اصدقاء قاسم يتحدثون عن صديقهم لا كما يتحدثون عن ميتٍ قضى بل كما يتحدثون عن صديق غابر ويرجى ان يؤوب. ذلك لان قاسماً كان قد ملأ نفوس اصدقائهِ وما زال يملأها وسيملأها ابداً

اما ثروت فان اصدقاءهُ والذين تشرفوا بالاتصال بهِ يستطيعون ان يتحدثوا عنهُ

الآن كما يتحدثون عن صديق غائب ولكنهم سيتحدثون عنهُ دائماً هذا الحديث لانهُ قد ملأ نفوسهم فلن تفرغ منهُ ابداً

ولئن كنت لم اعرف قاسماً الاَّ من طريق آثارهِ واحاديث اصدقائهِ فقد عرفت ثروت واتصلت بهِ واستطيع ان اتحدث عنهُ لو ان الى هذا الحديث سبيلاً

***

يقولون ان ثروت ظلم في حياتهِ وسينصفهُ التاريخ فاما انهُ قد تعرض للعقوق والجحود وكفر النعمة فشيءٌ لا شك فيهِ . اما ان التاريخ سينصفهُ فشيءٌ لا شك فيهِ ايضاً ، ولكن اي تاريخ ؟

لن ينصفهُ التاريخ القريب او قل لن يوفيهِ التاريخ القريب حقهُ من الانصاف ، وكيف السبيل الى ذلك وليس بين المصريين الذين قضوا في هذا العصر الحديث رجل اثّر في حياة امتهِ الداخلية والخارجية تأثيراً عميقاً بعيد المدى كثروت . نعم ليس بين المصريين في هذا العصر الحديث من اعطى امتهُ الدستور ، وليس بين المصريين في العصر الحديث من كسب لامتهِ الاستقلال ، وليس بين المصريين في العصر الحديث من نشر اعلام مصر المستقلة في اقطار الارض الاَّ ثروت . فهو الذي فعل هذا كله . وهو حين فعل هذا كلهُ قد تكلف فيهِ جهوداً وتجشم اليهِ اهوالاً واتصل في سبيلهِ باصحاب السلطان هنا وهناك ، وكان بينهُ وبين اصحاب السلطان اولئك وهؤلاء خطوب لم يُعرف منها شيءٌ ولن يعرف منها شيءٌ حتى تحلّ المسألة المصرية كلها وتصبح من حق التاريخ وحده

لقد كانت حياة ثروت السياسية تضحية متصلة ، فهو لم يطلب هذا المجد الذي يطلبهُ الزعماء والساسة ولم يكد يظفر منهُ بشيء . ولم تنتهِ تضحية ثروت بموتهِ ولكنها متصلة مستمرة . فسيظل هذا الرجل العظيم مجهولاً شطراً طويلاً من الدهر لان منفعة امتهِ تقتضي الاَّ تظهر اعماله على وجهها الآن

رحم الله ثروت ورحم الله قاسماً اذ كانا فرعين كريمين لهذه الشجرة الخالدة الكريمة شجرة العمل المنتج في غير تحدث ولا تمدح ولا منّ ولا رغبة في المجد ولا تهالك على الشرف . أليس قاسم هو الذي قال : ان الوطنية الصحيحة تعمل ولا تتكلم . أليس ثروت هو الذي انفق حياتهِ السياسية عاملاً غير متكلم الاَّ ان يضطر فلا يقول الاَّ الشيء القليل ! لم يتكلم حيًّا ولن يستطيع اصحابه ان يتكلموا عنهُ ميتاً ، فهو بهذا

اصدق مثال واقواه لهذه الوطنية التي تعمل ولا تتكلم
وهو كقاسم عمل حيًّا وأوذي في حياته
وهو كقاسم يعمل ميتاً دون ان ينصفهُ الاحياء
ولكن قاسماً عمل ويعمل للمرأة . اما ثروت فعمل ويعمل لمصركلها . قاسم يحرر المرأة وثروت يحرر مصر . ولعلَّ صديقي هيكلاً لم يخطئ حين قدّر انهُ يحرر الشرق كلهُ

ثروت باشا صديقاً

غير اني لم اكتب لا تحدث عن ثروت زعيماً انما كتبت لاتحدث عنهُ صديقاً. ولعل خير حديث عن ثروت صديقاً انما هو تصوير الفكرة التي كانت تملأ نفسهُ من الصداقة والاصدقاء ومن الصلة الاجتماعية عامة بينهُ وبين الناس . ولعل اصدق تصوير لهذه الفكرة جملة قالها ثروت نفسهُ ذات يوم حين استقالت وزارتهُ الاولى ومضت على استقالته اسابيع غير طوال ولكنها كافية ليظهر فيها اخلاص المخلص له وانصراف المنصرف عنهُ بين اولئك الذين كانوا يتهالكون عليهِ ويسرفون في تملقهِ حين كان اليهِ السلطان . كنت عنده في جماعة من اصحابنا وكنا نتحدث في نفر من الناس لم تصرفهم الظروف السياسية الشديدة يومئذٍ عن الاتصال بهِ والاختلاف اليهِ متعرضين في ذلك لسخط الساخطين وتمرّ المتنمرين ، وعن نفر آخرين من الناس كانوا يغشون داره صباحاً ومساءً ما دام اليهِ الامر حتى اذا اعتزل انكروه وجهلوا الطريق الى داره . وكان ممن حضر جماعة الحوا في الزراية على هؤلاءِ وتنقصهم واخذوا يثقلون على الرجل فيهم كأنما يريدون ان يضطروهُ الى ان يظهر رأيه ، فقال مبتسماً : من اخلص فلنفسهِ . ثم وجه الحديث وجهة اخرى

فلم تكن الصلة بين الناس عند ثروت رهينة بقدر الناس لها او حكمهم عليها وانما كانت رهينة بقدرك انت لها وحكمك انت عليها . فانت في مودتك لفلان لا تحفل برأي فلان في هذه المودة او بعبارة ادق انت لا تحرص على مودتك لفلان لان فلاناً يجد في ذلك لذة او منفعة او غبطة ، وانما تحرص على هذه المودة لانها تلائم نفسك ولانك تجد فيها انت رضا وطمأنينة وشيئاً من اللذة الراقية التي تسمو عن المنافع اليومية

كذلك كان ثروت يفهم الصداقة ويقدرها فهو لم يكن يحب ويبغض الاَّ صدر في ذلك عن نفسه وعن مزاجه وعن طبيعته وعن عواطفه الخالصة . ولقد كانت نفسه رحمهُ الله كريمة . ولقد كان مزاجه رحمهُ الله صفواً كله . ولقد كان طبعه — رحمهُ الله

نقاءً كله . ولقد كانت عواطفه — رحمهُ الله — عذبة كلها . فليس غريباً ان تكون صداقتهُ قوية باقية صافية عذبة لا تجد الايام واحداثها سبيلاً الى تكديرها او النيل منها . ذلك لان صداقتهُ لم تكن رهينة بالمنافع واعراض الحياة انما كانت رهينة بمزاجهِ واخلاقهِ. وأشهد لقد كانت الخصومة السياسية تشتد بينهُ وبين بعض الناس حتى تنتهي الى اقصاها ولقد كان على ذلك كله يحتفظ لهؤلاء الناس في ناحية من انحاء قلبه بمودة كريمة خالصة . ويكفي ان ترجع الى احاديثه وخطبه ورسائله التي عرض فيها لهؤلاء الخصوم فسترى انهُ يذكرهم دائماً — ولاسيما الذين كان يختصهم بالمودة قبل الفتنة — بشيء من اللطف والرفق يؤثر في نفسك اشد التأثير

ولقد اذكر اني كنت عندهُ ذات يوم فانبأني انهُ كتب الى سعد — رحمهما الله — كتاباً يقترح فيهِ عليهِ الاحتكام الى جماعة من صفوة المصريين فيما شجر بينهما من خصومة . وقرأ عليَّ هذا الكتاب الذي يعرفهُ الناس جميعاً والذي هو آية من الدعة والوفاء ولين الجانب وصفاء القلب وطهارة النفس والاخلاص الصحيح في حب الوطن، حتى اذا فرغ من قراءة كتابهِ لم يدع لي من الوقت ما يمكنني من ان اثني عليهِ بل قال : وانا انتظر الرد على هذا الكتاب من لحظة الى لحظة . وتكلم في حديث آخر. وما هي الاَّ ان دقَّ التلفون فاسرع اليهِ ثم عاد مبتسماً وقال : تنتظرني عشر دقائق او ربع ساعة وانصرف . ولبثت انتظرهُ حتى عاد بعد قليل ومعهُ ردُّ سعد . فقرأهُ علينا وكنا جماعة قليلين فكلنا سخط وكلنا اخذتهُ حفيظة شديدة ومنا من لم يكد يسمع من الكتاب اسطراً حتى نهض واخذ يمشي في الحجرة ذاهباً جائياً لا يكاد يمسك عن الكلام الاَّ مضطراً . . . ولكني اشهد انهُ ما ظهر على ثروت — رحمهُ الله — غيظ ولا حفيظة ولا موجدة ، وانما ظهر عليهِ شيء من الاسف المؤلم لانهُ لم يوفق الى ما كان يسعى اليهِ من جمع كلمة الامة يومئذٍ وظهر عليهِ شيء آخر رفعهُ في نفسي يومئذٍ وهو الالم لانهُ تلقى هذا الكلام القاسي الظالم من صديق . . . وتبينت يومئذٍ انهُ كان لا يزال يحبه ويبرّ بهِ

وقد اثبتت الايام بعد ذلك ان كتاب سعد هذا وما جاء بعده من خصومة عنيفة بين الرجلين لم يغيّر من ود ثروت لسعد ولا من حبه له . كما انهُ لم يغيّر من مضاء عزيمة ثروت على ما كان قد عزم عليهِ من جمع كلمة الامة ، وقد وفق الى ما اراد فكان الائتلاف واجتمع المختصمون ورأس سعد المؤتمر الوطني بين صديقيهِ عدلي وثروت

ولقد اذكر اني كنت عنده في اليوم الذي زاره فيه سعد لاول مرة بعد انتهاء الخصومة . ومهما انسَ فلن انسى صوتهُ الرقيق الحزين وهو يذكر لنا ضعف سعد رحمهُ الله — وما لقي من الجهد في الصعود حيث استقبله

يستطيع المبصرون ان يتحدثوا عن وجه ثروت ومخايله ولحظاته وعن تصوير هذا كلهُ لما يضطرب في نفسهِ من العواطف والميول . اما انا فاستطيع ان اتحدث عن صوت ثروت واشهد لقد كان صوتهُ العذب مرآة لنفسهِ العذبة . ومهما انسَ فلن انسى صوت ثروت في يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ . في مساء ذلك اليوم اقترف الاثم الفظيع على باب السياسة وكنت انا الذي ابلغ هذا الاثم الى ثروت في الاسكندرية بالتلفون . فلما وقع في سمعه اسم حسن عبد الرازق واسماعيل زهدي استعادني فاعدت الاسمين . . . فسمعت منهُ آهة فيها كل شيء : فيها الحزن العميق . وفيها الجزع الذي لا حد لهُ وفيها الثورة والاستنكار ثم رجع صوتهُ كما كان وسألني : هل قبض على الآثمين ؟ قلت . لا . قال يكفي . وانصرف

اني لاذكر هذه القصة الآن وأن قلبي لينقطع اسىً وان نفسي لتتفرق لوعة وان شطراً غير قليل من حياتي ليتمثل امامي بما كان فيهِ من خير وشر ، وان كثيراً من هذا الخير الذي اتمثله لمتصل بحسن عبد الرازق وعبد الخالق ثروت

***

سمعت صوت ثروت لاول مرة في يوم من ايام سنة ١٩٠٨ في الاسبوع الاول من افتتاح الجامعة المصرية وكان قد اقبل يتلو على الطلبة مجتمعين قراراً لمجلس ادارة الجامعة يحظر على الطلبة التحدث بشؤون الجامعة الى الصحف . وكان صوتهُ حازماً وكان صوتهُ عذباً ، فاحببتهُ وملت اليهِ . ولكني لم اتصل بهِ . ومضت الاعوام وانا لا اعرف من امرهِ الا ما يعرفهُ الناس جميعاً حتى كانت سنة ١٩١٤ وكنا في آخر السنة ، وكنت قد عدت من اوربا ، وكنت اتأهب لاستئناف السفر ، وكنت قد كتبت مقالاً في بعض الصحف غضب لهُ المرحوم الاستاذ الشيخ محمد المهدي وشكاني الى مجلس الادارة وشايعهُ نفر من اعضاء المجلس يومئذٍ وطلبوا ان أُفصل من بعثة الجامعة . واجتمع المجلس وقرئ فيهِ هذا المقال ثم انصرف وبينا اعضاؤهُ يتفرقون اقبلت انا الى الجامعة فرآني الاستاذ احمد لطفي السيد بك فدعاني وقدمني الى معالي ثروت باشا وزير الحقانية . فاخذ يدي

بين يديهِ ولبث يكلمني لحظة يطلب اليَّ فيها الرفق حين اكتب ويشجعني على المضي فيما انا فيهِ من درس ونقد . ففهمت اني لم افصل من البعثة واحسست من عذوبة ذلك الصوت عطفاً زادني بالرجل حبًّا ، وعرفت بعد ذلك بساعات قصار اني مدين لهُ وللاستاذ لطفي بك بالعودة الى اوربا

ومضت ايام البعثة كلها لم القَ فيها ثروت ولم اسمع من امرهِ بشيءٍ

ثم عدت الى مصر فلقيتهُ وخرجت من عندهُ اشد الناس حبًّا لهُ واعجاباً بهِ وشكراً لحسن لقائهِ

وكان هو الذي قدمني الى الجمهور حين بدأت التدريس في الجامعة . وما كان اشد الاثر الذي تركتهُ في نفسي خطبة التقديم تلك بعد ان اجلسني ثروت على كرسي الاستاذ ووقف فقدمني الى الجمهور في لفظ عذب كلهُ تشجيع وحثّ على العمل والجد

واختلف رحمهُ الله الى درسي اياماً يحضر الدرس كغيره من الناس ، حتى اذا كان آخر الدرس اقبل اليَّ فصافحني في ظرف ودعة وعرفني بنفسهِ

ثم كانت بيني وبين الجامعة خصومة فكان رحمهُ الله اعطف اهل الجامعة عليَّ وارفقهم بي واشدهم الحاحاً عليَّ في الاّ اخلط بين العلم والمنفعة وفي الاّ تكون المصاعب المادية مهما تشتد وتشق صارفاً لي عما انا فيهِ من الدرس والجد

وكانت لثروت — رحمهُ الله قدرة شديدة الخطر على الاقناع. فكان اذا جادلك لم يلبث ان يتسلط عليك ولاسيما حين يجادلك في امر يمسك خاصة لانهُ كان في هذا الجدال صريحاً مخلصاً تحس منه في غير شك انهُ ينكر نفسهُ ولا يعرف الاّ اياك والا منفعتك فلا تستطيع ان تقاومه ولا ان تأبى عليهِ . كنت اعرف منه هذا فكنت احبهُ وكنت اخشاهُ وكنت اذا اصررت على شيء من الامر حاولت جهد الطاقة الاّ يجادلني فيهِ ثروت حتى لا يصرفني عنه . اذكر اني استقلت ذات يوم من مجلس الجامعة لخلاف كان بيني وبينهُ — رحمهُ الله في مادة من مواد لائحة الجامعة . واستقلت اثناء الجلسة فكلف من كلمني في ان استرد استقالتي فأبيت فانتقل من مكانه حتى انتهى اليَّ وهمس في اذني : لا اطلب منك ان تسترد استقالتك وانما اطلب منك ان ترجئها حتى تتكلم قلت فانا : اخشى ان نتكلم قال: فانا آبى ان تستقيل . قلت : ان كان الامر على هذا النحو فانا مذعن لما تريد . قال . انا لا احب الاذعان وليس من شأنك ان تذعن

افتظن ان من اليسير ان تقاوم رجلاً كثروت كانت لهُ مكانتهُ وهو يتحدث اليك هذا الحديث ؟

ثروت « والشعر الجاهلي »

رحم الله ثروت . . . كانت الخصومة بينهُ وبيني في مجلس الجامعة حول مادة من مواد اللائحة تجعل الاساتذة غير قابلين للعزل . وكان — رحمهُ الله — يقبل المبدأ ولكنهُ يريد ان يحتفظ للحكومة (ولم يكن فيها) بشيء من الحق ، وان يحتاط في تنفيذ هذا الاصل . وقبل المجلس رأيه وتأجل تنفيذ اللائحة . وما هي الاَّ اسابيع حتى ظهر كتاب الشعر « الجاهلي » وارجف المرجفون وتحدث الناس وكثر حديثهم . واقبل عليَّ بعض الاصدقاء ينقلون لي عن ثروت انهُ كان يأسف اشد الاسف لانهُ لم يكن يقدّر اني سأكون اول ضحية لرأيه في تلك المادة

زرتهُ بعد ذلك ، فلقيني ضاحكاً ثم وضع يدهُ على كتفي وقال : ان حرية الرأي اكرم من ان يعبث بها العابثون مهما يكونون ، وثق بان اول اثر لما يمكن ان ينالك انما هو استقالتي من مجلس الجامعة وانقطاع الصلة بيني وبينها وانقطاع الصلة بيني وبين الذين يعينون عليك مهما يكونوا . ولكني اطلب اليك ان تثبت للعاصفة والا تحيب الذين يخاصمونك في الصحف . فانت استاذ وكرامة الاساتذة ترفعهم عن هذه الخصومات

ولولا نصيحة ثروت هذه لكان لي للمرجفين بالشعر الجاهلي شأن آخر

رحم الله ثروت . لقد كان لهُ من السعي في مسألة الشعر الجاهلي ما لن انساهُ ابداً وما لن استطيع ان اتحدث عنهُ الآن . ولكني اذكر يوم ظهر تقرير النيابة في امر هذا الكتاب فاستقلت . وطلب هو الى وزير المعارف الاَّ يقبل استقالتي فأبيت . فطلب الى مدير الجامعة ان يطلب اليَّ ان ازورهُ . فذهبت اليهِ في الغد فتلقاني مبتسماً وما هي الاَّ دقائق حتى اقنعني بان استقالتي خطأ . ولكنهُ كان اظرف واكرم من ان يطلب اليَّ استردادها فأمر بالاعراض عنها . طابت اليهِ ذلك اليوم ان ادع الجامعة وان انقل الى عمل آخر اذا لم يكن بد من البقاء في الحكومة . فقال : قد تكون منفعتك في ذلك وقد يكون من حقك عليَّ ان اجيبك اليهِ ، ولكن للجامعة عليَّ حقاً آخر

كيف تريد ان تقاوم رجلاً يتحدث اليك في هذا الظرف وفي هذه الدعة ؟

ثم مضت اشهر وكانت بيني وبين الجامعة صعوبة اخرى طلبت في اثرها ان انقل

من الجامعة فابى وزير المعارف وأبيت . وكلفت ان ازور رئيس الوزراء ، وكنت مصرًّا ، وكنت اعلم اني ان زرتهُ فسأنهزم لهُ . فأبيت إن اجيب دعوتهُ . وانكر عليَّ الناس جميعاً هذا الاباء ولكني طلبت الى بعض اصدقائي ان يبلغ رئيس الوزراء اني لن اراهُ ما دام اليهِ الامر ، فاذا ترك الحكم فسيراني . فسكت وسكتُّ . وانتهى كل شيء واستقالت وزارتهُ . وذهبت اليهِ ازورهُ . وكنت اقدّر اني سأجد منهُ عتباً ولوماً . ولكني لم اجد منهُ الاَّ ظرفاً وعطفاً ، ولم الق منهُ الاَّ هذه البشاشة التي اعرفها والتي يعرفها اصدقاؤهُ جميعاً وخصومهُ جميعاً والذين لا يحفظون لهُ ودًّا ولا يضمرون عليهِ حقداً . لقيتهُ ذلك اليوم واطلت المجلس عندهُ ، وتحدثنا في كل شيء الاَّ الجامعة . وانصرفت من عندهُ وانا اقدر اني سأراهُ بعد قليل . . . ولكني لم ارهُ منذ ذلك اليوم ولن أراهُ

***

لم اتحدث اليك مما كان لثروت عندي من يد الاَّ بالشيء القليل الضئيل فقد قدمت ان الحديث عن ثروت ليس بالشيء اليسير بل ليس بالشيء الممكن في اكثر الاحيان. على ان هذا الشيء الضئيل الذي تحدثت اليك بهِ يصوّر لك من هذا الرجل العظيم ناحية يدور الناس حولها ولا يحسنون تصويرها هي ناحية المودة والوفاء في المودة ، لا رغبة في المنفعة ولا ابتغاء لها ولكن لان الرجل كان وفيًّا بطبعهِ ولأن مزاج الرجل كان مفطوراً على المودة والوفاء فيها

وماذا كان يبتغي ثروت حين يرفق بي او يعطف عليَّ ؟ واين كنت اكون من ثروت وقد اجتمع لهُ السلطان كله واجتمعت حولهُ خيرة مصر ؟

ماذا كنت اكون من ثروت رجلا كغيري من الناس ؟ ولكن ثروت هو الذي قال: من اخلص فلنفسهِ . وقد احسّ ثروت مني اخلاصاً في حبّهِ ، وما ارى الاَّ انهُ قد بعث فيَّ هذا الاخلاص لانهُ عطف عليَّ ورفق بي واخلص في ذلك حتى ملك نفسي وحتى حملني على ان احبهُ فاحببتهُ ولم اقف ولن اقف في حبهِ عند حد

وصاحب السعادة عبد الحميد باشا بدوي يذكران ذكّرتهُ اني حين عدت من اوربا كنت شديد الاعجاب بثروت وعدلي ورشدي . ولكني لم اكن اتجاوز هذا الاعجاب الى الحب . واذكر انهُ ناقشني فيهم ذات يوم بمحضر حسن باشا عبد الرازق رحمهُ الله فقال : لو عرفتهم لاحببتهم حبًّا لا يقل عن اعجابك بهم . وقد عرفتهم فأحببتهم. ولكني

عرفت ثروت معرفة لم اعرفها احداً غيره من هؤلاء الزعماء فأحببتهُ حبًّا لا حدّ لهُ كما قلت :

رحم الله ثروت . . . كيف استطيع ان انساهُ او ان اقدّر ان ذكرهُ قد يضعف في نفسي يوماً ما وانا لا أكاد اذكر حادثة من حياتي منذ رجعت من اوربا الاّ ذكرت ثروت واثره فيها . لقد كنت اركن اليهِ والوذ بهِ واستشيرهُ في كل شيء . ولقد كنت اجد منهُ في هذا كلهِ عطفاً لا يشبههُ عطف . وودًّا لا يشبههُ ود . ولقد كان يزيد من اثر هذا الود والعطف في نفسي ما كنت اشعر بهِ من انهُ كان عطفاً خالصاً وودًّا لا تشوبهُ شائبة . ولست وحدي الذي يستطيع ان يتحدث عن ثروت بمثل هذا الحديث ، وانما نحن كثيرون نذكر لهُ هذا الود الخالص وهذا الوفاء الصفو . يذكرهُ لهُ اكفاؤهُ واقرانه كما يذكرهُ لهُ صنائعهُ كما يذكرهُ لهُ المتصلون بهِ

ان في مصر لزعماء تختلف حظوظهم من المكانة في قلوب الناس قوة وضعفاً . ولكني اعتقد ان ثروت كان اعظم هؤلاء الزعماء جميعاً حظاً من القلوب التي تحبهُ فتخلص في حبهِ ، تحبهُ لشخصه لا لزعامته ولا لرياسته واكثر ما تظهر له هذا الحب حين يبعد عن الزعامة والرياسة

نعم . ان هذه القلوب لا تملأ الشوارع ولا تدفع الى التصفيق والصياح . ولكنها على قلتها كانت غنية بالحب الذي لم يكن يتردد في التضحية . واقسم ان من اصدقاء ثروت من لو خيّر في ان يعيش او يفتدي ثروت بنفسهِ لما تردد ، لا لأنهُ يحب مصر ويؤثرها بثروت بل لانهُ يحب ثروت ويؤثره على نفسه

رحم الله ثروت . لقد انقطعت بيننا وبينهُ اسباب الحياة منذ شهرين ، ولكنا لم نتعود بعد الاطمئنان الى انهُ قد مات وما ارى انا سنتعود هذا الاطمئنان وما ارى ان لوعتنا عليهِ سينالها ضعف او خمود وان الحياة لكفيلة ان تزيد هذه اللوعة شدة ، وان ما في الناس من ضعف وفتور ومن اثرة وتغير لكفيل ان يذكرنا ابداً ما كان لثروت من قوة وشدة ومن اخلاص ووفاء

رحم الله ثروت . لئن كان رهين قبر في الصحراء فان شخصهُ رهين قبور اخرى هي هذه القلوب التي ملأها فعرف كيف يملأها فلن تفرغ منهُ ابداً

هليوبوليس طه حسين